

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَصْنَوَاءُ مِنْ فَاتِحةِ الْكِتَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ
لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُثْنَيَ عَلَيْهِ، وَأُوْمِنُ بِهِ وَأَتُوكَلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ،
وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا نَعْبُدُ إِلَّا
إِيَّاهُ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ وَلَا نَسْأَلُ سُوَاهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ
النَّبِيُّ الْكَرِيمُ، الْهَادِي بِإِذْنِ رَبِّهِ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطٌ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛
فَرَحْزَ حَمْمٌ عَنِ النَّارِ وَأَزْلَفَ الْجَنَّةَ وَقَرَبَهَا إِلَيْهِمْ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ :

سُورَةُ الْفَاتِحةِ سُورَةُ مَكِّيَّةٍ كَرِيمَةٌ، فَضَائِلُهَا كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ، لَهَا عِدَّةُ أَسْمَاءٍ، وَكَثْرَةُ
أَسْمَائِهَا دَلِيلٌ سَاطِعٌ وَبُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى تَعَدُّدِ فَضَائِلِهَا، فَمِنْ أَسْمَائِهَا الْفَاتِحةُ؛ لَا فِتْنَاحُ
الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِهَا، فَأَوْلُ كُلِّ شَيْءٍ فَاتِحةُهُ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا أُمُّ الْكِتَابِ، لَا شِتَامَهَا عَلَى مَا
جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوْحِيدِهِ
وَتَعْظِيمِهِ وَتَحْمِيدِهِ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ، وَمَرَاتِبُ السُّعَادِ وَمَنَازِلِ الْأَسْقِيَاءِ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا
السَّبْعُ الْمَتَانِي لِأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، تُثَنَّى - أَيْ تُكَرَّرُ - فِي كُلِّ رُكْعَةٍ مِنْ
جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ، سَوَاءَ مِنْهَا الْفَرَائِضُ وَالسُّنُنُ وَالْمُسْتَحبَاتُ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا الصَّلَاةُ كَمَا
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي
نِصْفَيْنِ: نِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي)، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ:

أَنْتَ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: مَالِكٌ يَوْمُ الدِّينِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ: مَجَدِنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ: هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ: هَذِهِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ آثَارٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: ((الْأَعْلَمُنَّكَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ)), قَالَ: فَلَأَخْذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَلَّتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قُلْتَ لِأَعْلَمُنَّكَ أَعْظَمُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ((نَعَمْ 『الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ』، هِيَ السَّبْعُ الْمَتَّانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)).

عِبَادَ اللَّهِ :

لَقَدْ افْتَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ الْفَاتِحَةَ بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ 『بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ』^(۱)، وَالْبَدْءُ بِاسْمِهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ أَدْبُّ أَوْحَادِ اللَّهِ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ نُزُولًا؛ لِتَبَقَّى هَذِهِ الْاِفْتَاتِحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ تُعْطِي الْبَرَكَةَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، فَمَنْ افْتَنَّ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى جَاءَ قَوْلُهُ سَدِيدًا وَعَمَلُهُ رَشِيدًا، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبَدِّلُ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ)) - يَعْنِي مَقْطُوعَ الْبَرَكَةِ -، وَبَعْدَ الْبَسْمَلَةِ تَبَدِّلُ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْتَّوْجِهِ إِلَى اللَّهِ بِالْحَمْدِ مَعَ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ 『الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ』، وَفِيهَا دَعْوَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الْكَامِلِ الشَّامِلِ، إِنَّهُ تَوْحِيدٌ، لَا تَشْوُبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي الْيَقِظَةِ وَالنَّوْمِ، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَحْظَةٍ مِنَ الْبَيْوْمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْحِلَّ وَالْتَّرْحَالِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، إِذْ كَيْفَ يُحْمَدُ غَيْرُهُ وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ وَالْخَيْرُ خَيْرُهُ؟ إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُطَالِبٌ بِحَمْدِ اللَّهِ؛ لَأَنَّ الْعَيْنَ لَا تَقْعُ إِلَّا عَلَى آيَاتِهِ وَآلَائِهِ، وَالْقَلْبُ لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا

(۱) سورة الفاتحة / ۱.

بَسَّا بِهَايَهُ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَذْكُرُهُ، وَيُمَجِّدُهُ وَيَشْكُرُهُ، بِأَقصَى مَا يَمْلِكُ مَنْطِقَةُ الْكَرِيمُ مِنْ عَدَدٍ، وَمَا يُعَانِ بِهِ مِنْ مَزِيدٍ مَدِيدٍ، وَلَنْسَتِمْعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَثْنِي عَلَيْهِ فَيَقُولُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الشَّاءِ وَالْمَاجِدُ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ))، إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ وَلَا مُحَدَّدةٍ، وَهِيَ دَائِمَةٌ مُتَجَدِّدةٌ، لَأَنَّهَا نِعَمٌ تَصِلُ إِلَيْنَا مَعَ كُلِّ خَفْقَةٍ قَلْبٍ وَتَرَدُّدِ نَفْسٍ، فَلِيَلَازِمِ الْإِنْسَانُ الْحَمْدَ بِكُلِّ إِخْلَاصٍ وَيَقِينٍ، حَتَّى يَأْتِيهَا الْيَقِينُ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ حِينَ يُلْهُمُ الْحَمْدَ عَلَى نِعْمَةٍ مَا؛ فَإِنَّ مَا لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ ذَاتِهَا، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ))، ذَلِكَ لِأَنَّ ثَوَابَ الْحَمْدِ لَا يَغْنِي، وَنَعِيمُ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، فَمَا أَحْسَنَ أَنْ يَبْدِأَ الْإِنْسَانُ بِـ(بِسْمِ اللَّهِ) وَـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ) أَعْمَالَهُ؛ وَيُصَدِّرَ بِهَا أَقْوَالَهُ.

إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ :

يَتَكَرَّرُ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ ذِكْرُ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ بِاسْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَصِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِهِ الْعَلِيَا، وَهُمَا «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، لِأَنَّ رَحْمَتَهُ سُبْحَانَهُ عَمَّتِ الْوُجُودَ، وَشَمِلَتِ كُلَّ مَوْجُودٍ، وَمِنْ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ تَتَّبُعُ كَثِيرٌ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، فَمَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ كَرَمُهُ وَفَضْلُهُ، وَحَلْمُهُ وَعَفْوُهُ، وَمَنْهُ وَعَطْوَهُ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْخَيْرَ وَالتَّوْفِيقَ، وَسُلُوكَ أَقْوَمِ سَبِيلٍ وَأَيْسَرِ طَرِيقٍ، نَالَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ نَصِيبًا، فَكَانَ رَحِيمًا بِكُلِّ النَّاسِ، عَلَى مُخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، وَقَدْ حَفَلَتْ أَوْامِرُ الْإِسْلَامِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَى التَّرَاحِمِ الْعَامِ، الَّذِي بِتَحْقِيقِهِ يُقْدِمُ الْمُؤْمِنُ الدَّلِيلَ وَالْبُرْهَانَ عَلَى صِدقِ الإِيمَانِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحَمُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدُكُمْ صَاحِبٌ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ الْعَامَّةِ))، وَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يُرَحَّمُ اللَّهُ))،

إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى تَكَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ بِجُزْءٍ يَسِيرٍ مِّنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فِيهَا الْجُزْءُ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ فِيمَا بَيْنَهَا، فَيَرْحَمُ الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ، وَالْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، وَيَتَرَاحَمُ الْإِنْسَانُ وَالطَّيْرُ وَالحَيْوانُ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مَائَةً جُزْءٍ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ)) . إِنَّ صِلَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْقَائِمَةَ يَجِبُ أَنْ تَقُوَى بِالرَّحْمَةِ الْمُسْتَمِرَةِ الدَّائِمَةِ، فَيَحُلُّ بَيْنَ النَّاسِ الْحُبُّ بَدْلَ الْبُغْضِ، وَالْإِخَاءُ بَدْلَ الْجَفَاءِ، وَالْقُرْبُ بَدْلَ الْبَعْدِ، بِهَذَا يَعِيشُ النَّاسُ آمِنِينَ، وَيَبَاشِرونَ أَعْمَالَهُمْ سُعَادَةً مُطْمَئِنِينَ، إِنَّ الرَّحْمَةَ إِذَا حَلَّتْ وَاسْتَقَرَّتْ، أَقْصَيَتِ الْقَسْوَةَ وَانْدَثَرَتْ، فَعَمَّتِ الْخَيْرَاتُ وَكَثُرَتْ.

عِبَادُ اللَّهِ :

فِي يَوْمِ الدِّينِ يُجَازِي اللَّهُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَالْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ، ذُو الْفِكْرِ السَّدِيدِ، يُحَاسِبُ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ، وَيَزِنْ أَعْمَالَهُ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ)) ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا وَقَفَ مَعَ نَفْسِهِ وَقْفَةً حِسَابَ دَقِيقٍ؛ أَضَيَّتِ الْمَسَالِكُ أَمَامَهُ وَوَضَحَ الطَّرِيقُ، فَتَدارَكَ التَّقْصِيرَ إِنْ قَصَرَ، وَإِنْ رَأَى أَنَّهُ مُوفَّقٌ ازْدَادَ تَوْفِيقًا وَضَاعَفَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَكْثَرَ، وَبِذَلِكَ يَبْدُأُ عَامَةُ الْجَدِيدِ بِفَكْرٍ وَبَصِيرَةٍ، فَيَعْمُرُ حَاضِرَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ وَيُؤْمِنُ مَصِيرَهُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ يُوقِنُ بِأَنَّ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ الْجَزَاءُ الْأَخِيرَ، وَمَنْ ثَمَّ لَا يَحْدُثُ مِنْهُ قُصُورٌ وَلَا خَلَلٌ، لَا فِي خُلُقٍ وَلَا سُلُوكٍ وَلَا عَمَلٍ، إِنَّهُ بِإِيمَانِهِ بِيَوْمِ الدِّينِ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ بِأَنَّهُ إِنْ فَاتَهُ الْجَزَاءُ الدُّنْيَوِيُّ لَنْ يُخْطِئَهُ أَبَدًا الْجَزَاءُ الْأُخْرَوِيُّ، حَسْبُهُ فِي الدُّنْيَا رَاحَةٌ ضَمِيرٌ، وَالْإِطْمَئْنَانُ عَلَى صِحَّةِ مَسِيرِهِ، وَمَا يَتَبَعُ ذَلِكَ مِنْ سَلَامَةِ مَصِيرِهِ، إِنَّ مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ وَاحِدٌ أَحَدٌ عَدْلٌ، لَا يُهْضِمُ عِنْدَهُ حَقٌّ، وَلَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ التَّالِي لِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، الْمُتَدِبِّرُ

لَا يَأْتِيهَا، الْمُسْتَجِيبَ لِتَوْجِيهِاتِهَا، يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، فَهُوَ إِذْنُ وَحْدَهُ الْمَعْبُودُ وَالْمُسْتَعَانُ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ بَعْدَهَا: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(١)، أَيْ: لَا نَعْبُدُ يَا رَبُّ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ سُوَالَكَ، وَعِبَادَةُ اللَّهِ الْمَقْصُودَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ بِمَفْهُومِهَا الْأَشْمَلُ وَالْأَعَمُ، الَّتِي تَشْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ دِينِيٍّ وَدُنْيَوِيٍّ، يُؤْدِيهِ الْمُؤْمِنُ مَعَ إِحْسَاسِهِ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ رَقِيبٌ، وَلَهُ حَسِيبٌ، وَمِنْهُ قَرِيبٌ، كَمَا تَشْمَلُ تَخْلِيةُ النَّفْسِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَتَحْلِيلُهَا بِالْفَضَائِلِ، فَالْتَّاجِرُ وَالصَّانِعُ وَالْمُزَارِعُ وَالْمُوْظَفُ وَكُلُّ صَاحِبٍ عَمَلٍ شَرِيفٍ هُوَ اللَّهُ ذَاكِرٌ وَلَهُ عَابِدٌ، مَا دَامَ مُلْتَزِمًا فِي عَمَلِهِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْعِفَّةِ وَالنَّزَاهَةِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَصِدْقِ الْوَعْدِ، وَالَّذِي يُقْدِرُ لِلنِّسَانِ إِنْسَانِيَّتَهُ، وَيَحْفَظُ لَهُ كَرَامَتَهُ - خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِثْمًا وَيَقْتَرِفَ جُرْمًا وَيَرْتَكِبَ ظُلْمًا - هُوَ اللَّهُ ذَاكِرٌ وَلَهُ عَابِدٌ. وَمَنْ تَقَلَّدَ مَسْؤُولِيَّةً فَقَامَ بِهَا دُونَ إِهْمَالٍ وَتَسْوِيفٍ، أَوْ غِشًّا أَوْ تَحْرِيفٍ، وَعَامِلُ الْجَمِيعَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، مُتَجَنِّبًا كُلَّ ظُلْمٍ وَإِجْحَافٍ؛ هُوَ اللَّهُ ذَاكِرٌ وَلَهُ عَابِدٌ، وَالْمُسْتَحْقُ لِلْعِبَادَةِ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَعَانُ، فِي كُلِّ شَأنٍ وَوقْتٍ وَآنٍ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ لَابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))، إِنَّ الْإِنْسَانَ مَهْمَماً أُوتِيَ مِنْ وَفْرَةِ مَالٍ وَكُثْرَةِ عِيَالٍ وَصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ عَاجِزٌ عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِجِلْبِ مَسَالِحِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، فَالْمُعَانُ مَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَسَائِلُ حُصُولِ عَوْنَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ، إِعَانَتُهُ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ إِخْرَانًا، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضِهِنَّ أَعْوَانًا، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تَعْنِي التَّوَكُّلَ وَالْخُمُولَ وَالْكَسَلَ، بلْ تَعْنِي الْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ وَالْعَمَلَ، لَقَدْ أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّيِّدَةَ مَرِيمَ بَعْدَ وِلَادَتِهَا لِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَنْزَلَ عَلَيْهَا الرُّطْبَ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ

(١) سورة الفاتحة / ٥ .



أمرها بهز النَّخْلَةِ - رَغْمَ ضَعْفِهَا - لِتُبَشِّرَ السَّبَبَ. إِنَّ تَرْكَ الْاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَعَدَمَ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ أَمْرٌ خَطِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَهُوَ يَقْطَعُ الصَّلَةَ بِاللهِ؟ وَمَنْ انْقَطَعَتْ بِاللهِ صِلَتُهُ غَدَأَ عَمَلُهُ نُكْرًا، وَكَانَتْ عَاقِبَةً أَمْرِهِ خُسْرًا.

فَانْقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَاسْتَقْبِلُوا هَذَا الْعَامَ الْهَجْرِيَّ الْجَدِيدِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَالْاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى عِمَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ، بِعَمَلٍ مُثْمِرٍ مُفِيدٍ، فَكُلُّ يَوْمٍ يَمْرُّ هُوَ لِلإِنْسَانِ أَوْ عَلَيْهِ شَهِيدٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشَهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى اللهِ وَصَاحِبِهِ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ :

إِنَّ الْمُسْلِمَ حِينَ يَقُولُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فِي الصَّلَاةِ يُنَاجِيهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ لَا يَفْصِلُ نَفْسَهُ عَنْ إِخْرَانِهِ، بَلْ يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ طَرَفاً مِنْ مَجْمُوعِهِ، وَلِذَلِكَ أَمْرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقُولَ : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» لَا : «إِيَّاكَ أَعُبُدُ»، «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» لَا : «إِيَّاكَ أَسْتَعِينُ»، كَمَا أَمْرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلَا يَخُصُّ نَفْسَهُ بِسُؤَالِ الْخَيْرِ دُونَ غَيْرِهِ، بَلْ يَطْلُبُ الْهَدَى يَةَ مِنَ اللهِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، فَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى اللهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ : «اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»⁽¹⁾، فَبَعْدَ أَنْ أَقَرَّ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمُعِينُ كَانَ أَوَّلَ مَا

(1) سورة الفاتحة / ٦-٧

يَطْلُبُ الْعَوْنَ فِيهِ مِنْ رَبِّهِ الْكَرِيمِ الْهَدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لَا يَمْلِئُ عَنِ الْحَقِّ أَبَدًا، وَلَا يَزِيغُ لَحْظَةً عَنِ الْهُدَى، وَمَنْ وَفَّهُمُ اللَّهُ لِلْحَقِّ فَسَلَكُوا طَرِيقَهُ وَصَلَوَا إِلَى الصَّوَابِ وَأَكْتَشَفُوا الْحَقِيقَةَ؛ فَتَجَمَّلُوا بِأَجْمَلِ صِفَاتٍ وَأَحْسَنِ خَلِيقَةٍ، وَبِذَلِكَ يَعِيشُونَ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَا فِي نَعِيمٍ، وَيَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِدُخُولِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فِي جَوَارِ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَمَّا الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الْهَدَى وَسَلَكُوا طَرِيقَ الْغَوَایَةِ، فَهُمْ يَتَخَبَّطُونَ فِي كُلِّ اِتْجَاهٍ، وَمَنْ تَمَّ لَا يُحَقِّقُونَ فَوْزاً وَلَا يَسْعَدُونَ بِنَجَاتِهِ.

فَانْتَقُوا اللَّهَ -عِبَادُ اللَّهِ-، وَحَقُّ قُوَّا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ؛ فَفِي تَحْقِيقِهَا الْمَكْسُبُ وَالْتِجَارَةُ الرَّابِحَةُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمَرْكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

(١) سورة الأحزاب / ٥٦

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًا مِنَا لَسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَائِشًا مُنِيبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرَزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ الْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقُنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْعُونَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.